

المخططة الأولى

أما بعد.. أيها المؤمنون بالله ورسوله اتقوا الله فإن الله شديد العقاب ذو الطول لا إله إلا هو إليه المصير عباد الله اتقوا الله واحذروا عقابه وشديد عذابه وسخطه فإنه سبحانه وتعالى شديد العذاب قال الله جل ذكره: ﴿نَبِيٌّ عَبَادِي أَنِّي أَنَا هُوَ الَّذِي عَذَابُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[1]

(وقد حذركم الله سبحانه وتعالى نفسه في كتابه فقال: ﴿وَيَحذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

[2]

(قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية:

أي يخوفكم الله من نفسه أن تتركبوا معاصيه أو توالوا أعداءه فإن إليه مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم فإن خالفتم أمره ذالك من عقاب الله ما لا قبل لكم به، فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه فإنه شديد العقاب

. أيها المؤمنون إن الله تبارك وتعالى ببالغ حكمته فرض عليه خوفه وأوجبه قال جل ذكره: ﴿فَأَيُّ آيٍ فَارِهِ بُونَ﴾

[3]

(وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾

[4]

(بل قد جعل سبحانه وتعالى خوفه شرطاً لصحة الإيمان فقال سبحانه عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[5]

(وقد أذركم الله أيها المؤمنون الأيمن من مكره وعذابه فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾

[6]

(وقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ - أَيِ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ - أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[7]

(وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ

أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ

أَفَأَمِّنُوا مَكَرَ الْمَلَّةِ فَتَأْيَأَمِّنْ مَكَرَ الْمَلَّةِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴿٨﴾

[8]

).

أيها المؤمنون إن المخوف من الله تعالى من أجل العبادات ومن أعظم المقربات فهو الذي يحول بينكم وبين محارم الله عز وجل ومعاصيه فله ما أعظمه، ولله ما أحوجنا إليه ولله ما أحسن عاقبته في الدنيا والآخرة إذ بالمخوف يا عباد الله ينزع العبد عن المحرمات وبه يقبل على الطاعات فهو والله أصل كل فضيلة وباعث كل قربة.

وبالمخوف أيها المؤمنون يستيقظ القلب من غفلته وينتفع بالإنذار ويتأثر بآيات القرآن قال الله تعالى:

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى

إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾

[9]

(وقال سبحانه:

﴿الْمَلَّةُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْإِنشَاءِ كَتَابًا مَّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الْمَلَّةِ﴾

[10]

).

عباد الله: إن المخوف من الله تعالى هو من أخص صفات عباد الله المتقين وأوليائه المحسنين: قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا ذُكِرَ الْمَلَّةُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾

[11]

(قال الإمام المطبري رحمه الله: ((المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لأمره وخضع لذكوره خوفاً منه وفرقاً من عذابه))

[12]

).

أيها المؤمنون لقد كان النبي شديد المخوف من الله عظيم الخشية له مع ما خصه الله سبحانه وتعالى به من الخصائص والفضائل والمهبات فصي الصحيحين

قال

:

((

فوالله إنني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية

))

(

[13]

). وعن عبد الله بن المشخير □ قال:

((

أتيت النبي □ وهو يصلي وله أزيز كأزيز المرجل من البكاء

))

(

[14]

([رواه أحمد وغيره.

أيها المؤمنون هذا نبيكم غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بلغ الغاية في العمل والطاعة ومع ذلك كله كان شديد الخوف من ربه حتى كان أكثر دعائه كما في جامع الترمذي: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" وكان من دعائه كما في صحيح مسلم:

((

اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك

))

(

[15]

([أما صحابته الكرام فهم الذين قال فيهم القائل:

يا ما الليل أظلم كابدوه ██████████ فيسفر عنهم وهم ركوع

طار الخوف نومهم فقاموا ██████████ وأهل الأمن في الدنيا هجوع

]

فسيرهم رضي الله عنهم حافلة بالعبير والعظات فهذا صديق هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها المبشر بالجنة وعظيم المنة كان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله تعالى، وهذا عمر بن الخطاب المبشر بالجنة قرأ سورة الطور حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾

(

[16]

([بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعاده الناس وكان يقول لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني، وهذا عثمان كان إذا وقف على القبر بكى حتى يبيل لحيته أما جمهور الصحابة رضي الله عنهم فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس أنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال:

((

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

))

(

[17]

([قال أنس: فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين. فرضي الله عنهم وأرضاهم ما أجمل فعلهم وأعذب ذكرهم.

عباد الله هذه نماذج من مخاوف القوم مع ما خصهم به الله تعالى من الرضا والغفران وتبشير بعضهم بالجنان. [فليت شعري ماذا نقول وقد قست منا القلوب وأمنت منا المخاوف فلا بقرب الرحيل ننتبه ولما دأبات الله نتعض فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

]

الخطبة الثانية

أما بعد... اتقوا الله واعلموا أن من علامات خوف الله تعالى وخشيته عدم الأمان من عذاب الله وعقابه وسخطه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوْمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

[18]

﴿فهؤلاء يا عباد الله قوم حسنت أعمالهم وطابت سرائرهم وزكت قلوبهم واستقامت جوارحهم إلهاماً منهم مع ذلك لم يأمنوا عقاب الله وعذابه، فقلوبهم وجلة خائفة أنهم إلى ربهم راجعون.﴾

وهذا يفسر لنا ما كان عليه النبي من شدة الحذر من عقاب الله والخوف من سخطه ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

«كان رسول الله

إذا كان يوم الريح أو الغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر فإذا مطرت سر به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته فقال: إني خشيت أن يكون عذاباً سلط على أمتي

»

(

[19]

﴿وفي رواية أخرى للبخاري قال لها لما سألته:

»

يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، وقد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب، ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾

﴿﴾

(

[20]

).

ولما كسفت الشمس في عهده خرج إلى المسجد مسرعاً فزحاً يجرُّ رداءه من شدة المزع فقام بأصحابه قياماً طويلاً شديداً حتى جعلوا يخرون من طول القيام فاستكمل رسول الله في الركعتين أربع ركعات وأربع سجودات، رأى في صلاته تلك، الجنة والنار فلما فرغ من تلك الصلاة خطب خطبة عظيمة بليغة كان منها أن قال:

«أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولما لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وادعوا الله وكبروا وتصدقوا، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

»

(

[21]

﴿وفي رواية قال عن المكسوف:

«إنه من آيات الله تبارك وتعالى يعتبر بها عباده فينظر من يحدث منهم توبة

»

(

[22]

).

فلا إله إلا الله ما أطيب قلوبهم وأزكى سرائرهم وأشد خوفهم وحبهم وتعظيمهم لربهم جل وعلا فإن هذه الآيات والمعظيات لا يعتبر بها

إلا من عمر الخوف قلوبهم قال الله تعالى:
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ آلِ آخِرَةٍ﴾

[23]

﴿وقال سبحانه:

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخِضُّونَ لِعَذَابِ آلِ إِيْمٍ﴾

[24]

﴿أيها المؤمنون إنه لما ضعف إيماننا بالله وقلَّ خوفنا منه وتعظيمنا له قست منا القلوب وساءت الأعمال وصدق في كثير منا قوله

جل وعلا:

﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

[25]

﴿فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

([6] الدرعد: 13.

([5] آل عمران: 175.

([4] المبقرة: 150.

([3] المنحل: 51.

([2] آل عمران: 28.

([1] الحجر: 49-50.

(

[7]

(المنحل: 45-47.

(

[8]

(المأعراف: 97-99.

(

[9]

(طه: 3-2.

(

[10]

(المزمع : 23.

(

[11]

(المأنفال : 2.

(

[12]

(تفسير المطبري (6 / 178).

(

[13]

(أخرج المبخاري في الأدب من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: "فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم.." برقم 6101. وأخرجه مسلم في الفضائل برقم 2356.

(

[14]

(أخرج أحمد من حديث عبدالله بن المشخير رضي الله عنه برقم 15877.

(

[15]

(أخرج مسلم في المقدر من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص برقم 2654.

(

[16]

(المطور : 7.

(

[17]

(أخرجه البخاري في الجمعة من حديث عائشة رضي الله عنها برقم 1046 وأخرجه مسلم في الكسوف برقم 901.

(

[18]

(المؤمنون: 57.

(

[19]

(أخرجه مسلم في صلاة الاستسقاء من حديث عائشة رضي الله عنها برقم 899.

(

[20]

(أخرجه البخاري في تفسير القرآن من حديث عائشة رضي الله عنها برقم 4829، والآية في الأحقاف: 24.

(

[21]

(أخرجه البخاري في الجمعة من حديث عائشة رضي الله عنها برقم 1046 وأخرجه مسلم في الكسوف برقم 901.

(

[22]

(أخرجه أحمد من حديث سمرة بن جندب برقم 19665.

(

[23]

(هود: 103.

(

[24]

(المذاريات: 37.

(

[25]

(يوسف: 105.